خواطر في العنف الفلسطيني

الدكتور حسام الخطيب

اثارت حادثة اغتيال رئيس الوزراء الاردني وصفي التل (القاهرة ١٩٧١/١١/٢٨) من جديد مشكلة الوسيلة والغاية ، مشكلة العنف المشروع وغير المشروع . وحتى لا يقع التباس بين المفهوم الحقوقي الاصطلاحي لهذه الكلمة (المشروع) وبين معناها العام فانه لا بد من التأكيد بادىء ذي بدء على أن الكلمة مستعملة هنا بالمعنى الاعم : اي المقبول عرفا عند الناس . فمثلا لو أن رجلا كوصفي التل لقي مصرعه في ساحة قتال أو في صراع مكشوف وجها لوجه لكان رد فعل الرأي العام مختلفا بنسبة كبيرة عن رد الفعل المتحفظ الذي ظهر في الصحافة العربية ورد الفعل المشوب بالحيرة الذي تجلى عند رجل الشارع (هل يظهر تحبيذه ام يضبط مشاعره ؟) . ومن الناحية المنطقية الخالصة يمكن لكل من يقرأ سجل حياة الرجل كما نشر في الصحافة العربية ان يستنتج طبيعة رد الفعل الذي يتوقع ان يثيره لدى الرأي العام اختفاؤه عن مسرح الاحداث ، ولكن مع ذلك قرأنا في تلك الصحف احيانا استنكارا مكشوفا واحيانا مبطنا لعملية الاغتيال .

ان نظرة فاحصة لجميع التعليقات التي استنكرت العملية بشكل او بآخر تفيد بأن الاستنكار كله انصب على **الاسلوب** لا على النتيجة ، وهذا بالضبط ما يدفعنا الى طرح الموضوع من هذه الزاوية : العنف المشروع والعنف غير المشروع وامتداداتهما . وحتى لا يبدو الكلام اقرب الى التجريد فلنسارع الى القول : ان التعليقات التي استنكرت الحادثة بالذات اوردت حججا مختلفة يمكن تلخيصها بالاتجاهات التالية : ١) رفض اسلوب الاغتيال السياسي من حيث المبدأ ، ويتفاوت اصحاب هذه النظرة بين التصلب العقائدي (الدوغمائية) وبين التذبذب باتجاه رفض الحادثة على اساس نتائجها وعواقبها . ٢) لوم الشباب الاربعة لاستغلالهم كرم الضيافة في قطر عربي يعد المركز الاساسي للنشاط العربي العام ويفترض فيه أن يؤمن حرية الحركة والرأي (والوجود ايضا) لكل من يفد اليه ولا سيما بمهمة رسمية في ظل الجامعة العربية . ٣) انتقاد الحادث من وجهة نظر ذرائعية (براغماتية) على اعتبار ان هذا الحادث يؤدي الى تعقيدات كثيرة وقد يعود بالضرر على الفلسطينيين المقيمين بالاردن ، بل اعتبره بعضهم — من ناحية النتيجة — نسفا للجهود التي بذلت في مجلس الدفاع لرأب الصدع العربي ودفعه الى مواجهة العدو بشكل موحد او شبه موحد .

وبالطبع لا يمكن ان تكتمل الصورة الا باستيعاب الدوافع التي تذرع بها الشبان انفسهم، وهناك من الدلائل ما يشير الى انهم صادقون ، فسذاجة اعترافاتهم واسلوبهم غير المحتاط في تقديم انفسهم للشرطة وللمحققين وللرأي العام يوحيان بنسبة كبيرة من العفوية والصدق في موقفهم .

ماذا يقول هؤلاء الشبان ؟

دونما تدقيق في التفصيلات التي قد يكون فيها تزيد او تحريف يعتبر الشبان الفلسطينيون